التمسُّك والتماسك الاجتماعي لاستعادة الهوية في روايتي (على أعتاب غرناطة ودروب الموت) (دراسة موازنة)

م.د.خالد جمال حسين

alysawyk97@gmail.com

مديرية تربية الأنبار/ الكلية التربوية المفتوحة

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة ثلاث قضايا تتعلق بإشكالية الهوية بمختلف مقوّماتها في روايتين عربيتين الأولى رواية (على أعتاب غرناطة) للروائي المصري أحمد أمين والثانية : رواية (دروب الموت) للروائي العراقي راسم الحديثي، فالروايتان سلطتا الضوء على قضية المركز والهامش، واستلاب الهوية عن طريق استرجاع التاريخ واحياء قضاياه في النفوس، لذا ارتكزتِ الدراسة على قضايا ثلاث، ناقشتِ الأولى مسألة (التمسُّك) بالهوية، أما الثانية : فقد بيّنت محاور التماسك والتضامن بين أفراد المجتمع من أجل استعادة هويّتهم، وعرضتِ الثالثة مواقف ونشاطات الأفراد والمجتمع في كلا الروايتين بغية استعادة هوّيتهم لغةً ودينًا وتاريخًا،وانتشال أنفسهم من قاع التهميش بعد أن أقصتهم السلطات وفَكَّكَتْ بنيتهم المجتمعيّة، وقد اعتمدتِ الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي عن طريق الموازنة بين العملين الأدبيين والتركيز على التشابه بينهما تاريخًا ومتخيّلًا، ولا سيّما مواقف المجتمعين في كلا الروايتين من قضية تهميشهم واقصائهم .

الكلمات المفتاحية : استعادة، تمسّك، تماسك، هويّة، موازنة .

Adherence and social cohesion to restore identity in my novel (On the Threshold of Granada and the Paths of Death) (Budget study)

Dr. Khaled Jamal Hussein

Anbar Education Directorate / Open Educational College

Abstract

This study aims to discuss three issues related to the problem of identity with its various components in two Arab novels. The first is the novel (On the Doorstep of Granada) by the Egyptian novelist Ahmed Amin, and the second is the novel (Paths of Death) by the Iraqi novelist

Rasem Al-Hadithi. The two novels shed light on the issue of the center and the margins, and the alienation of identity from The way to retrieve history and revive its issues in the souls. Therefore, the study was based on three issues. The first discussed the issue of (adhering to) identity, while the secondIt showed the axes of cohesion and solidarity among members of society in order to restore their identity, and the third presented the positions and activities of individuals and society in both novels in order to restore their identity in language, religion, and history, and to extract themselves from the bottom of marginalization after the authorities excluded them and dismantled their societal structure. The study relied on the descriptive analytical approach. By balancing the two literary works and focusing on the similarity between them historically and imaginatively, especially the positions of the communities in both novels on the issue of their marginalization and exclusion.

Keywords: restoration, adherence, cohesion, identity, balance

مقدمة الدراسة

لقدْ تناولتْ الكثير من الروايات العربية منذ عشرينيات القرن الماضي، بموضوعاتها الأساسية قضية التاريخ قديمًا وحديثًا سواء أكان تاريخ العراق على وجه الخصوص أم التاريخ الإسلامي والعربي على وجه العموم، وما وقعت فيه من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية، وجسّدت هذا التوجّه عن طريق ولوجها بالواقع وحياة الإنسان في مجتمعه، وكان للتحولات التي شهدتها المجتمعات في الجوانب جميعها أثرٌ في توجّه الروائيين وعنايتهم باستلهام التاريخ ومقارنة الماضي بالحاضر، وهذا انعكاسًا لقضايا متشابكة اجتماعية وسياسية ونزاعات متراكمة.

لذا كانت للرواية السبق ضمن الأشكال الفنية الأخرى في اعادة توثيق التاريخ،وذلك بحكم ارتباطها بالواقع متواشجًا مع الخيال ، فمكّنها هذا من اختراق التابوهات وعرض موضوعات ومفاهيم أصبحت مشكلة العصر، كالهوية، والاستعمار، والتاريخ، وطبيعة السياسات القائمة على التهميش والغاء الآخر، وإلفاتُ النظر إلى قضية حقوق الإنسان في ضوء المتغيّرات الحاصلة، فأصبح مصيرُ الهويّة مرتبطًا بالأيديولوجية، تقف وراءها غاياتٌ مذهبيةٌ أو عرقيةٌ أو صراعاتٌ سياسية،، فغدا خطاب الهوية خطابًا متداولًا على المستويات جميعها، فلم يكن النص الروائي بعيدًا عن هذا الخطاب الذي أضحى هاجس الجميع، لذا آثرنا إشكالية الهوية في الرواية العربية

موضوع الدراسة لهذا البحث فكانت روايتي (على أعتاب غرناطة) للروائي والمؤرخ المصري أحمد أمين، و(دروب الموت) للروائي العراقي راسم الحديثي مادة الدراسة إذ تضمنتا قضيتين لأمتيّن مختلفتين تغوص أحداثهما في أعماق التاريخ، فعمد الروائيان إلى استعادة التاريخ وإحيائه في ذاكرة الأمّة وبيان الحقائق التاريخية، فَعَرَضَتِ الرواية الأولى قضية الموريكسين آخر بقايا العرب المسلمين في الأندلس وما قع عليهم من ظلم واضطهاد وتطهير عرقي من قبل محاكم التفتيش للإسبان المستعمرين، أما الثانية (دروب الموت) فقد ناقشت قضية الأرمن في مطلع القرن العشرين الذين تعرّض بعضهم إلى المعاناة نفسها على يد الدولة العثمانية في أواخر حكمها.

وكلما كان التاريخ عميقًا وأكثر تشابكًا، كان أكثر قدرة على التأثير وصياغة الهويّة، فالتاريخ هو السجل لماضي الأمم وديوانها الحافظ انتصاراتها، فلا يمكن تصوّر وجود أمّة من غير تاريخٍ " يدّخر في عقول شعبها ذكرياتٍ مشتركة عن آلامها وانتصاراتها، أبطالها وأوباشها، أعدائها وحروبها، هزائمها وأمجادها "[١]، ولهذه المكانة والأهميّة التي حظي فيها التاريخ اتخذته الروايات والقصص وسيلة أساسيّة توصل عن طريقها للمجتمع أحداثًا لها وقعٌ وأثرٌ كبير في نفوسهم وتتعلق بحقيقة ماضيهم ووجودهم ولتأكيد. هويتهم الخاصة ووجود تاريخها الخاص [٢]، إذ رُسِّخَتِ الأحداث في نفوس المجتمع، وارتبطتِ المصائر، واندمج الناس في إطار واحد؛ لأنّ التاريخ نسيج من الأحداث محاك بخيط من الذاكرة، والذاكرة محاكة كذلك بخيوط من التاريخ، مع اختلاف طبيعة الأنسجة، ووصف هذان التشبيهان إشكالية التداخل بينهما، فتحوّل كل منهما إلى أداة بيد الآخر، إذ التاريخ لا يتخلى عن الذاكرة، لكنه يُنقّحها، ويُغرْبلها، أو يتركها كما هي، إلا أنّ الذاكرة تُحوّل التاريخ إلى تاريخ معيش عن طريق زجّه بفعاليات الاستذكار والتأبين والاحتفاء بذكرى معينة، سلبًا أم إيجابًا بعد تحويره وتغييره إلى أنماط متعددة [٣].

واعتمدتْ هذه الدراسة على طروحات الروائيّين ضمن التاريخي والمتخيّل من دون تقصي الحقائق التاريخية من صحتها أو زيفها، إذ تَتَبعتْ موقف الفرد والمجتمع تجاه الأحداث التي عصفت به بين القبول والرفض، وكيف انتزِعَتِ الهويّة من قبل الآخر ؟ ومن ثمَّ إعادة بنائها واستصلاحها من قبل الذات؟ وبيان هيمنة القوى الاستعمارية في المجتمعين وسعيها إلى طمس هوية الآخر وسلبها وإنهاء وجوده، ومحاولة الذات المستَلَبة بالتمسّك والتماسك لتثبيت الوجود واستعادة الهوية عقيدةً وتاريخًا ولغةً وثقافةً، وارتكزت الدراسة على الجانب الموضوعي لإبراز موقف المجتمعين من مصادرة الهويّة واستلابها، لذا اختصت بعرض محورين : الأوّل (الإطار النظري) : فتضمن تعريف مصطلحات الدراسة في اللغة والاصطلاح، والثاني (الإطار التطبيقي): الذي ناقش قضية التمسُّك والتماسك واستعادة الهويّة بمختلف مقوّماتها في مبنى الروايتين .

المحور الأول : مفهوم مصطلحات الدراسة في اللغة والاصطلاح .

أولا : التمسّك والتماسك في اللغة والاصطلاح :

التمسّك لغةً : دلّ مفهوم التمسّك اللغوي في معجم مقاييس اللغة على أنّ " الميمُ والسّينُ والكاف أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدُلُّ على حبسِ الشّيءِ أو تحبُّسِهِ "(٤)، وفي لسان العرب جاء بمعنى " مَسَكَ بالشيءِ وأمسَكَ به وتمسّك وتماسَكَ واستمسَكَ ومَسِّكَ، كلُّه : احتبسَ . وفي التنزيل : والذين يُمَسِّكونَ في الكتابِ ... أي يُؤمنونَ بهِ ويحكمون بما فيه . قال الجوهريُّ : أمسَكْتُ بالشيءِ وتَمَسكتُ بِهِ واستَمْسَكْتُ بِهِ وامتَسَكْتُ كُلُّه بِمعنَى اعتَصمتُ "(٥) .

التمَسّك في الاصطلاح : إذ يتبين عن طريق اتفاق المعنى اللغوي مع الاصطلاحي بأنّه : "حبسُ النفسِ على الشيءِ، والتزامه والاعتصام به "(٦) .

التماسك لغةً : يقابل التماسك في اللغة التفكك، فيتبيّن عن طريق هذا أنّه يعني الترابط التام، ومن ثمّ الشدة والصلابة، إذ ورد في أساس البلاغة :" أمسك الحبل وغيره، وأمسك بالشيء ومسك وتمسك واستمسك وامتسك. و(أمسك عليك زوجك) وأمسكت عليه ماله : حبسته، وأمسك عن الأمر: كفّ عنه.وأمسكت واستمسكت وتماسكت أن أقع عن الدابة وغيرها، وغشيني أمرٌ مقلق فتماسكت .وفلان يتفكّك ولا يتماسك، وما تماسك أن قال ذلك: وما تمالك، وهذا حائط لا يتماسك ولا يتمالك .وحفر في مسكة من الأرض :في صلابة" (٧).

أمَّا اصطلاحًا : فالتماسك يظهر عن طريق دراسات عدّة قد تناولته في مجالات مختلفة بأنّه مصطلحٌ قد تُرجم من اللغة الإنجليزية، وتحديدًا من كلمة Cohesion وهذه الترجمة قد أوقعت المصطلح في إشكالية تعدد المفاهيم والمعاني التي دلَّ عليها، فترجمه محمد الخطابي إلى الاتساق(٨)، أمّا تمّام حسّان فقد ترجمه إلى معنى السبك(٩)، وجاء في ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد بمعنى التضام(١٠)، وبمعنى الترابط في ترجمة عمر عطاري(١١) كما ترجمه عبد القادر قنيني بالالتئام(١٢)، وما يهمنا في دراستنا هو دراسة مفهوم التماسك الاجتماعيّ، إذ يعد مفهوم التماسك الاجتماعي مفهومًا معقدًا نتيجة تعدّد أبعاده ومستوياته، فهو يختلف باختلاف العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما أنّه يتناول العلاقة بين الفرد و المجتمع من ناحية، والعلاقات بين الأفراد أنفسهم من ناحية أخرى، لذا لم يتفق الباحثون على تعريف موحّد يوضّح المقصود بالتماسك الاجتماعي .

ويعد عالم الاجتماع الفرنسي (أميل دوركهايم) من أوائل الرواد في علم الاجتماع الذين عُنُوا بمسألة التماسك الاجتماعي، أو ما أطلق عليه في دراسته (التضامن الاجتماعي) فعرَّفه بأنّه : " الجذور الأساسية في مجموعة مشتركة من القواعد والقيم المشتركة أو ما أطلق عليه (الضمير الجمعي)، وعلى أساس هذا لا يمكن لأي مجتمع أن يدوم من دون وجود مجموعة مشتركة من القواعد التي يلتزم بها الناس"(١٣)، ويُعرّف التماسك الاجتماعي بأنّه " ترابط أفراد الجماعة

وتوحدِّهم، واستعداد كلٍّ منهم لمساعدة الآخر، ويشير المصطلح إلى درجة الترابط والتقارب في الأهداف والسلوك والاتجاهات بين الأفراد ومدى انجذاب الأعضاء لبعضهم البعض، واستعداد كلٍّ منهم لمساعدة ومؤازرة الآخرين، أي : مدى شعور الأفراد بالولاء والتلاحم والتكاتف بين أفراد الجماعة"[١٤]، وقد ذكر (محمد سيد فهمي) أنّ التماسك الاجتماعي "هو شعور الأفراد بانتمائهم إلى الجماعة والولاء لها وتمسُّكهم بعضويتها ومعاييرها وتحدّثهم عنها بدلًا من تحدّثهم عن ذواتهم، وعملهم معًا في سبيل هدف مشترك، واستعدادهم لتحمّل مسؤولية عمل الجماعة والدفاع عنها، ويتضمن تماسك الجماعة أيضًا التقارب الشديد بين مكّونات الجماعة والروح المعنوية والاتحاد والقوة والعمل الجماعي بروح الفريق والاندماج في العمل والتكامل وجاذبية الجماعة لأعضائها"[١٥] .

ثانيا : الهوية والاستعادة في اللغة والاصطلاح .

أ – الهوية في اللغة والاصطلاح .

ترتبط إشكالية الهويّة بالوجود والذات، كارتباطها بقضيّة التنوع والاختلاف والتغيرات الاجتماعيّة في جميع صيغها، فقد جاء في لسان العرب أنّ " هُوَيّةٌ تَصْغيرُ هوّة، وقيلَ : الهَوِيّةُ بِئْرٌ بَعيدَةُ المَهواة ... وَقيلَ : الهُوّة الحُفرة البَعيدةُ القَعْرِ، وهي المَهواةُ "[١٦] لذا فالهويّة من حيث الدلالة اللغوية تشير إلى حقيقة ما يكون به الشيء هو: أي حقيقة الأشياء أو الأشخاص مطلقًا، التي تشتمل صفاته الجوهرية عن طريق تمييزه في ذاته واختلافه عن غيره [١٧]. فيما يرتبط مفهومي (الذاتية والغيرية) بالهويّة ارتباطًا مباشرًا، إذ " يسمح المفهوم الأول من هذين المفهومين بوضع وجود الكائن المفكر على أنه يقول "أنا"...ويسمح المفهوم الثاني أن نقول بأنّه لا وعي بالنفس دون وعي بوجود الآخر، وبأنّه حسب مقدار الفرق بين (النفس) و(الأخر) تتكون الذات " [١٨].

الهوية اصطلاحًا : لا يختلف المفهوم الاصطلاحي للهويّة عن المعنى اللغوي، إذ أشار صاحب التعريفات إلى أنّ الهويّة هي " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق " [١٩].

وتعد الهويّة السمة الأساسية للفرد إذ عن طريقها يتميّز من غيره وهي الحَلْقَة التي تربطه بالمجتمع وتشدُّ الأواصر وتعزّز الانتماء، وذكر برهان غليون أنّ " الجماعة كالفرد لا تستطيع أن تبادر إلى عمل أو تقوم بإنجاز مشروع، مهما كان نوعه أو حجمه، دون أن تعرف نفسها، وتحدد مكانها ودورها، وشرعية وجودها كجماعة متميزة،أي تعرف أيضًا ما هي وما تريد أن تكون عليه " [٢٠].

فالهوية هي نتيجة تواشج عدّة مقومات تتمثل _باللغة والدين والتاريخ _ فعندما يتعرّض أيٌّ منهما للخطر، تتزعزع الهوية وتتفكك الانتماءات إذ أنّ تعدد الهويات ما هو إلّا " طرق تفهم من

خلالها علاقة الناس فيما بينهم" [٢١]، سواء أكانت اجتماعية أم دينية أم عرقيّة، والمجتمع الذي يمتلك هويّة مستقلةً يستشعر الوجود والانتماء وينعم بالأمن والاستقرار.

ب _ الاستعادة في اللغة والاصطلاح .

الاستعادة في اللغة : جاء في تاج العروس " واسْتَعَادَهُ الشّيء فَأَعَادَهُ، إذَا سَأَلَهُ أنْ يَفْعَلَهُ ثانيًا، واسْتَعَادَهُ إذَا سَأَلَهُ أنْ يَعُودَ "[٢٢]، وفي المعجم المحيط " اسْتَعَادَهُ يَسْتَعيدُ اسْتَعِد اسْتِعَادَةً : عَوْدٌ : الشيء طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَهُ ثانيَةً أيْ أنْ يُعِدَهُ، طَرَبَ السّامِعُونَ واسْتَعَادُوا المُغنِّيَ أغْنِيَتَهُ، الشيء : اسْتَرْجَعَهُ، اسْتَعَادَ المَريضُ قُوَّتَهُ، اسْتَعادَ وَعْيُهُ اسْتَعادَ أنْفَاسُه، أيْ عَادَ إليهِ هدوءَهُ "[٢٣] .

الاستعادة في الاصطلاح : لم أجد تعريفًا اصطلاحيًا لهذا المصطلح، ويمكن تعريفه ضمن مضوع الدراسة بأنّه : طلب العودة إلى الأصل الذي كان عليه الفرد والمجتمع لغةً ودينًا وتاريخًا.

المحور الثاني : الإطار التطبيقي .

أولا : التمسُّك والتماسك في مبنى الروايتين :

أ – التمسُّك .

جسّدت الروايتان أحداثًا متشابكةً ومواقف مختلفة صدرت من شخصياتهما، إلا أنّ أغلب هذه الشخصيات التاريخية الواردة في كلا الروايتين اتسمت بالتشبُّث والتمسُّك بالهوية دينًا ولغةً وتاريخًا وثقافةً، بل حتى العادات والتقاليد المحلية كانت هي الأخرى عالقةً بالنفوس وراسخةً في الذاكرة، إذ أَبَتِ الشخصياتُ التّخلي عنها سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعيّ على الرغم مما تعرّضوا له من ضغط بالقهر والقوّة والإكراه ؛ لكنَّ قرار التشبُّث بالهوية بمختلف أنواعها لا رجعة ولا تهاون فيه، فنجد الشخصيات في الروايتين اللتين مثلتا مجتمعين مختلفين دينًا وثقافة قد تمسَّكت بهويتها ولا سيّما الدين الذي يُعد أحد أهم مقومات الهويّة الثقافية في المجتمعات إذ إنّه " القوى المركزية التي تحرِّك البشر وتحشِّدهم " [٢٤]، لذا نجد أنّ الشخصيات الرئيسة في كلا الروايتين قد تمسّكت بدينها على الرغم من ممارسة السلطات والمتنفذين أقسى أساليب التهميش والإقصاء لسلب الدين وطمس الهوية ولا سيّما شخصيّة (فاطمة، والشيخ غالب، وابن فرج، وفلورا) في رواية على (أعتاب غرناطة)، كما يظهر في المقابل في رواية (دروب الموت) تعلّق (سمر / هيرانوش ، وشاكي، وأحمد/ وكرابيت) بالمسيحيّة على الرغم من محاولة السلطات العثمانية دمجهم مع المسلمين وتغيير أسمائهم مثل ما فعلت محاكم التفتيش مع الموريكسيين في غرناطة الذين عمدوا على إبادة المسلمين وإلغاء وجودهم بدءًا من تغيير الأسماء بل حتى منع التحدث باللغة العربية .

وعند النظر في مجتمع رواية (على أعتاب غرناطة) تتضح قضية التمسّك باللغة والدين جليًّا لدى الشخصية المسلمة التي أَبَتِ الخنوع والاستسلام وتقبّل الوضع الجديد الذي فُرِضَ عليه، فأوّل ما يطالعنا ابن فرج الذي أبى الزواج خشية أن يخرج من صلبه من يجهل هويته

وتاريخه ودينه بل حتى لغته فقال : " وإذا أنجبنا أطفالًا فأيُّ وبالٍ وثبور جلبتُه عليهم بجلبهم إلى ذلك العالم القاسي الظالم؟ أ سوف أستطيع أن أُعَلِّمَ أبنائي لغتي وديني، أم سيخرجون للحياة مثلي؟ مسلم يدّعي النصرانية ويخشى الجهر بدينه، وأتمسّك بلغةٍ عربية لا أكاد أفهمها لقلة تحدثي بها"[٢٥]، فاللغة والدين هما من أسمى وأجلّ مقومات ومكوّنات الهوية لذا جاهد المسلمون العرب (الموريكسيون) للتمسّك بهما والحفاظ عليهما وهذا ما دفعهم إلى تأدية العبادات خفية وبعيدًا عن أنظار رجال محاكم التفتيش المرتبطين أيدلوجيًّا وولاءً لرجل الدين في الكنيسة، وهذا ما ذكره ابن فرج بقوله :" كان أبي يخشى أن يكتشف رجال المحكمة صيامنا، فكُنّا نقضي طوال اليوم في الحقل نتظاهر بالعمل ولا نعود حتى تغرب الشمس فنتناول طعام الافطار"[٢٦]، ما دفع الموريكسيين للعبادة خفيةً هو التحرّز من أذى وضرر محاكم التفتيش وعيونهم التي تراقب جميع تحركاتهم وسلوكهم، فلعدم الجهر بالعبادة غايتان الأولى : التخلّص من الأذى، والثانية : اعلاء كلمة الإسلام والمحافظة عليه، حتى يتمكّنوا من تحقيق الأهداف وتمرير مخططاتهم بصورة سرّيّة وغير لافتة لأنظار للسلطات .

ومن مشاهد التمسّك بالدين ما اتضح في موقف (فلورا) المسلمة المتشبّثة بدينها وهويتها على الرغم من أنّها تعيش في بيت (فينجاس) المنسلخ من الإسلام والمنصهر بالمسيحية بادئ الأمر، إذ إنّها عرَّضَتْ نفسها للمخاطر في سبيل الثبات على دينها حتى الموت ونيل رضا الله وهذا يكشفه المشهد الحواري الذي دار بينهما:" أيُّ حقيقةٍ أيتها المجنونة؟ ستلقين بنا وبنفسك في النار، أيُّ نارٍ أيّها الأحمق ؟ أنا أتمسّك بديني فرارًا منها، وأنت تهرول ناحيتها كالفراشة الحمقاء التي تحوم حولها ولا تدرك أن نهايتها فيها"[٢٧]، وازنت (فلورا) بين حالها وموقفها من دينها وهويتها وبين موقف زوجها (فينجاس) الذي تخلّى عن دينه وخسِرَ بذلك الدارين، حبَّ أهله ومجتمعه في الدنيا، ورضا الله سبحانه وتعالى في الآخرة، أما هي فقد ثبتت على دينها واستعصمت بهويتها وتاريخها، ثم نجد الموقف نفسه عند (الشيخ غالب) رجل الدين الموريكسيّ الذي تعرّض لأبشع أنواع التعذيب من أجل انتزاع دينه لزعزعة صفوف المقاومين وإضعاف همّتهم، إلا أنّه بقِيَ شامخًا كالجبال أمام دينه ومجتمعه فقال مخاطبًا الأندلسيين : " أيّها الأندلسيون، إنّي أشهدكم وأشهد الله إنّي ما غيّرت ولا بدّلت .. ولا فارقتُ الإسلام طرفة عين، وإنّما أرادوا فعل ذلك ليحطّموا قلوبكم ويكسروا دينكم، بعد أن ينالوا من شيخكم، لكنّ الله مانعي وحافظي "[٢٨]، في ظلِّ صراع الوجود وبمواجهة مباشرة لقوى الاستعمار أطلق الشيخ غالب صرخة مدويّة حافلة بالتحدي والإصرار مفصحةً عن الثّبات، ليبثَّ روح العزيمة والقوّة والايمان في نفوس الموريكسيين لمواصلة طريق الجهاد حتى تحقيق الأهداف .

يبقى المسلمون الموريسكيون صامدون أمام دينهم حتى يفارقوا الحياة، كما " كانت عادة إخبار الأبناء بحقيقة دينهم تظل في كثير من الأسر الموريسيكية مرتبطة بحضور الوفاة، فمثلًا عند

وفاة الأب يخبر أبناءه بالحقيقة، ويرحل تاركًا لهم حرية الاختيار بدون خوف أو قلق أمّا إذا حضرت الطفل الوفاة فكان والده يلقّنه في أذنه كلمة الخلاص (كلمة التوحيد) ويردّدها الطفل خلفه ليرحل على دين الإسلام "[٢٩]. يُظْهِرُ النّص حجم الظلم والقهر الذي كان يرزح تحته الموريكسيون مما دفعهم إلى مواجهته ومقاومته بشتّى الوسائل وتمسّكهم بدينهم وهويتهم خفيةً عن أبنائهم ليجنبوهم أذى قوى الظلم والاضطهاد، فهم بذلك لم يقرّوا ويؤمنوا بالباطل ولم يرضوه لأبنائهم، فالاعتراف لهم عند حضور الوفاة هو اعلان عن خلو الذمّة من أمرٍ بالغ الأهمية، ولاسيّما الدين الذي هو أجلُّ وأسمى مقومات الهوية .

وهذا التمسّك لا ينفرد به المسلم فحسب، بل نجده عند الأرمن الذين هم أيضًا تعرّضوا للاضطهاد من قبل السلطة العثمانية كما وردت الأحداث في رواية (دروب الموت) إذ جسّد الروائي هذه القضية ذات الجذور التاريخية، فنجد الشخصية المسيحيّة قد تشبّثت بديانتها وهويتها على الرغم من تهجيرهم ودمجهم مع المسلمين، واتضح هذا في شخصية (سمر) التي تزوّجت الحاج عثمان المسلم وأنجبت منه أولادًا، لكنّها بعد عهد طويل بَقيتْ متعلقة بالمسيحيّة وبجذورها التاريخية وفي نهاية حياتها قرّرتِ الإفصاح عن هذا وكشفه أمام الممرضة المسيحيّة هيرانوش، فكان اسم الممرضة سببًا لاستدعاء ذكريات سمر لاسمها الحقيقي الذي سُلِبَ منها، واتضح ذلك في الحوار الذي دار بينهما : " هل أطلب من ممرضتي هيرانوش أن نخرج من هنا ونذهب إلى بيتنا ؟ !!. لا .. لن أتراجع ما دمت مهتدية حينها، لم يكن قراري هذا وإنّما كان قرار الظروف القسريّة التي مرّت علينا في بواكير القرن العشرين، أنا إنسانة ومن حقي أن اتخذ قراري بنفسي "[٣٠]، أصرّت سمر على قرار تمسّكها بديانتها المسحيّة معززةً ذلك بالإقدام والقناعة بعد أن أصبحت في مفترق طرقٍ وانتابها شعورٍ متشابكٍ مع وجوب اتخاذها قرارٍ يحدِّدُ مصيرها وهي متأرجحةٌ بين الإسلام والمسيحيّة .

وإذا كان المسلمون في غرناطة يؤدّون عبادتهم سرًّا وخفيةً متمسكين بعقيدتهم وهويتهم، فالحال لا يختلف عنه عند الأرْمِن المسيحيّين الذين كانوا يؤدّون طقوسهم الدينية بعيدًا عن أنظار السلطة العثمانية بل حتى عن أنظار المجتمع كلّه وهذا ما أباحتْ به سمر : " كنّا نصلي بخشوع وتقوى وهي تتقدمنا بطولها الفارع وبياضها الناصع ذاكرين رافعين أيدينا لأمنا مريم وربنا المسيح ألّا ينسيانا وأن يغمراننا برحمتهما الواسعة، إصرارها على أن تكون صلاتنا يوم الأحد حصرًا لا رجعة عنه في مكان آمن قد جعلناها كنيستنا المؤقتة، بيت غير مسكون تظلله أشجار الزيتون بكثافة، قمنا بإصلاحه وتنظيفه وفرشه بما يناسب الحال آنذاك "[٣١]، ينقلنا هذا الموقف إلى مشهد المسلمين الموريكس الذين كانوا يتظاهرون في العمل المستمر حتى غروب الشمس ويحين وقت الافطار خشية اكتشاف أمرهم، فالمواقف تتشابه والمعاناة والحال يتطابقان، لتتجسّد مواقف الثبات والتضحية رغم القهر والاضطهاد، ومن صور التمسّك بالهوية هو قضية العادات

والتقاليد التي اعتاد الأرمن مزاولتها لكن وجدوها تتنافى مع تعاليم الإسلام بعد أن عاد الجَدُّ من صلاة الجمعة وأخبر العائلة بأنّ الخطيب قد تكلّم عن حرمة الأغاني في الإسلام وأنّها رجسٌ من عمل الشيطان، وقد حصل جدال بين الجَدّة التي لن تقتنع بما قال وبين الجَدِّ الذي بقي حائرًا من أمره حتى أخذ قرار التمسّك بعادات الأرمن واستمرار ممارستها " مع هذا وبإصرار وعناد جدتي قررنا ألّا نلتزم بما قال خطيب الجامع وبقينا نستخدم هذه الآلة في جلسات طرب، وفي الليل كذلك نجتمع على لعب الورق– الكونكان والدومينا "[٣٢]، فالعادات والتقاليد أساليب الناس في التفكير والعمل، وهي سلوك جمعي متكرّر، تحظى بالقبول والتأييد من الجماعة التي تعمل على توريثها لأفرادها، والمحافظة عليها بنقلها من جيل إلى آخر، وتختلف من مجتمع إلى آخر [٣٣]. كما أنّها تعدّ خصوصيّة ذات طابع قوميّ أو محلّيّ وعبارة عن أنماطٍ سلوكيةٍ، تعتقده الجماعات الاجتماعية وتؤمن به؛ بسبب مطابقتها للتراث الثقافي القائم [٣٤].

ومثلما تمسّكت (فلورا) المسلمة الموريكيسيّة بهويّتها وعقيدتها ولم تبحْ بسرّها لابنتها حتى حضور الوفاة نجد الأمر مشابِهٌ لموقف (سمر) المسيحيّة المهتدية للإسلام قسرًا، فعندما استشعرت بدنوِّ أجلها باحثْ بسرّها للممرّضة وبحضرة القدّاس في الكنيسة فكان قرارها التمسّك بالجذور والهوية والموت على دين المسيحيّة وهذا ما جسّده الروائي بقوله : " جثمانها مسجّى داخل الكنيسة والصلوات المسيحيّة كما هي تسمع من مكبرات الصوت يدعون الرب عيسى والأم مريم الشفاعة لها "[٣٥] .

إنَّ ما تحمله المرأة في كلا الروايتين من عزيمةٍ وإصرار تعطي مؤشّرًا على مدى تماسكها مع مجتمعها، فضلا عن إحساسها بروح المسؤوليّة الدينيّة والقوميّة، فالشخصيّة في العملين الروائيين أعطت دلالة ذات عمق تاريخيّ، وفتحت آفاقًا واسعةً في البحث عن التماثلات التاريخية المتناظرة بين (الماضي والحاضر)،(والأديان والسلطات المختلفة) فضلاً عن بعث الماضي والنظر في المصائر والتوترات، فتخلق منها أطرًا تحوي أحداثها ودلالاتها، وعلى هذا الأساس استوحى الكاتبان عن طريق استرجاع الماضي بعض الحقائق التي اعتمدوا عليها كأُسُسٍ معرفيّةٍ تساعدهما في تفسير الأحداث عن طريق النص الإبداعي.

ب ـ التماسك في مبنى الروايتين

لتحقيق الأهداف المشتركة أو السعي للخلاص من محنة معينة لا بد من تحقيق الوحدة والاعتصام من أجل نيل تلك الأهداف أو النجاة وتخطي الصعاب والمعوقات، لذلك كان السعي هو العامل المشترك الذي يشدّ الأواصر نحو التماسك الاجتماعي وتعزيز الروابط بين أفراد المجتمع المضطهد والمشرّد وتحفيز بعضهم البعض من أجل الشعور بالانتماء واستعمال شتّى الوسائل لنيل الغايات واستشعار الوجود واستعادة الهوية، ويتحقق ذلك عن طريق توزيع الأدوار والمهام والجهود بين شخصيتين أو أكثر فهو " عملية كفاح مشترك للوصول إلى هدفٍ مشترك

"[٣٦]، وهذا المفهوم كان حاضرًا بين أفراد كلا المجتمعين في الروايتين إذ آزر بعضهم الآخر وتآلفوا وتقاربوا في وجهات النظر والأهداف بالشكل الذي جعلهم يكافحون ويجاهدون كخلية واحدة لنيل الغايات والأهداف المشتركة التي هي أساس بناء المجتمع وتحقق ديمومته وتحافظ على تماسكه بغض النظر عن حجم تلك الجماعات أو قوّتهم .

ففي رواية (على أعتاب غرناطة) نجد التماسك بين الموريكسيين سمة أساسية خلّدت تاريخهم فهم كافحوا وجاهدوا من أجل استعادة الأرض والدين فكانوا متآزرين ومتكاتفين سرًا وعلنًا ثائرين ورافضين الاضطهاد والتهميش وسياسة التطهير التي مورِسَتْ ضدهم من قبل محاكم التفتيش الاسبانية، فكان الشيخ غالب هو شيخ الموريسكيين آنذاك " كان يقع على كاهله عبء تعليمهم دينهم وتوجيههم، وزرع الحماس والأمل بداخلهم، لذلك جمع حوله تلك المجموعة الفتيّة وجعلهم أذرعه في غرناطة، ينشرون كلامه وتوجيهاته بين الموريسكيين "[٣٧]، كان التعليم والتوجيه وشحذ الهمم هي مهمة الشيخ غالب الذي كان الملاذ الآمن لهم وحصنهم الحصين الذي يلجؤون إليه عندما تتلاطم عليهم أمواج اليأس والشعور بصعوبة الحياة، كما تبيّن أنّ هناك تآلف وتوافق بين مجموعة هي الرئيسة لحركة المقاومة التي تمثل الموريسكيين " كانت المجموعة مكوّنة من سبعة أفراد، ثلاثة منهم مجهولون لا يعرفهم سوى الشيخ غالب فقط، لخطورة وضعهم ومكانتهم في المجتمع الإسباني، فإذا سقط أحد أعضاء المجموعة وانتزعت منه المعلومات تحت وطأة التعذيب لم يدلِ بمعلومات عن الثلاثة لجهله بشخصياتهم الحقيقية .. كانت مهمة ابن فرج هي توصيل آيات القرآن للموريسكيين في غرناطة وخارجها "[٣٨] يتضح من هذا النص العمل الممنهج والمشترك بين أعضاء المقاومة الرافضة للذل والاضطهاد فضلا عن توزيع المهام، فالشيخ غالب الذي تولّى مهمة التوجيه المعنوي والتنظيم قد أوكل مهمة توزيع ونشر القرآن الكريم وإيصاله للمسلمين إلى ابن فرج الذي أُنِيطَت له هذه المهمة فضلا عن قيادته عناصر الثورة، أمّا محمد بن داوود فكانت مهمته هي " الانصهار والاندماج بالغجر، وأن يتخفّى بينهم تمامًا حتى يصير واحدًا منهم، وكان الهدف من ذلك هو سهولة التنقل والحركة الدائبة التي يمتاز بها الغجر وصعوبة ذلك على الموريسكيين بسبب قيود النصارى عليهم .... وطوال ثمان سنوات نجح ابن داوود في مهمّته، وكان همزة الوصل بين مسلمي غرناطة ومسلمي بلنسية وقشتالة وأراجون"[٣٩]، من هذه النصوص يتضح بشكل جليّ مدى التماسك والتضامن الاجتماعي والديني من أجل استعادة الذات والهوية والعودة إلى الجذور .

كما كان للنساء دور في تلك المهمات الصعبة إذ إنّهن آزرنَ الرجال ووقفن معهم وأخذنَ دورهنَّ البطولي ويتضح ذلك من قول الراوي :" لم تنسَ فاطمة أبدًا ذلك اليوم حين كانت قرب جبال البشرات مع الشيخ غالب وصفية وفرج، كانت جولة يقوم بها الشيخ غالب في سرّيّة تامة كل فترة، لتفقّد أحوال الأندلسيين ومداواة أوجاع نفوسهم وتضميدها بترياق الصبر والأمل "[٤٠]،

والدعم الماديّ له أثرٌ ووجودٌ في بيان التماسك وإظهاره إلى جانب الدور المعنوي ليتعاضدا من أجل تحقيق الهدف المشترك، ويتبيّن هذا من موقف أهل بلنسية عندما أرسلوا عن طريق زعيمهم أموالًا دعمًا ماديًّا للمقامة في غرناطة بواسطة محمد بن داوود " لقد أرسل كوزمي بن عامر هذه الأموال لتستعين بها على قضاء حوائج الموريسكيين، وهو يبلغك تحياته ويطلب منك الدعاء للموريسكيين هناك، تنهّد الشيخ غالب وهو ينظر إلى الصندوق وقد دمعت عيناه : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)، إنّ إخوانكم هناك يقتطعون من قوتهم وقوت أبنائهم من أجل إعلاء كلمة الله والتمكين للمستضعفين في الأرض "[٤١]، يتضح أنّ التماسك والتضامن قد جاء على أصعدة مختلفة في حين كان الهدف واحدًا وهو استعادة المجد والخلاص من شعور تفاقم فقدان الذات والوجود في ظلّ زمكانٍ سيطر فيه القويّ ممارسًا أساليب التنصير والتطهير والاقتلاع ومحو الجذور .

وعند عرض قضية مجتمع الأرمن في رواية (دروب الموت) يظهر السلوك نفسه بالسعي نحو الخلاص عن طريق التكاتف والعمل بروح الفريق الواحد بقيادة (شاكي) التي أبَتِ الاستسلام " شاكي هذه تحوّلت إلى ناشطة فاعلة لا تهاب الموت، ومما نراه اليوم من إقدامها وهي تتواصل مع الجميع محاولة جمعنا وشدّنا إلى بعضنا كحزمة واحدة، رافضة وليست مستسلمة "[٤٢]، نلحظ هنا كيف تشبّث الجميع بالهوية إذ لا يمكن انتزاعها منهم مهما حاولتِ السلطات ذلك، فلا يمكن التخلّي عن الحاضنة التاريخية والاجتماعية والثقافية، لذلك عُمِدَ إلى استعادة الماضي، وتكثيف الاهتمام به بغية إعادة إنتاج الهوية، كي تكون مدعاة للافتخار والاعتزاز، ومن ثمّ تعزيز أواصر الانتماء، وللأهميّة التي تمتاز بها الهوية، كونها رمزاً لوجود الأمة، عَوّلت النصوص الروائية على هذه النقطة.

لم تتوانَ شاكي عن هدفها " فلذلك استطاعت أن تصنعَ من طبيعة تواصلنا ببعضها تنظيمًا معارضًا رافضًا تقوده هي، هذا نتيجة لما عمله الساديّون بها"[٤٣]، إذن تمكّنت شاكي من جمع الأرمن تحت رايتها لاستعادة هويّتهم المنتَزَعة، إذ إنَّ التمسّك بالهوية ومحاولة استعادتها متأتٍّ من أهميتها ومنزلتها الرفيعة في نفوس المجتمع، وهي رمز التآلف والانسجام والمحبة بينهم [٤٤].

ثم تعاضَدَ الجميعُ من أجلِ الخلاص والهروب من الواقع الأليم ومصادرة الحرية، ولم تثنهم المحاولات التي بُذِلتْ، بل لم تزدهم إلا إصرارًا وقوةً ويتضح هذا من قول سمر: " من الصعب أن نفترق بعد الآن مهما كانت القوّة المضادّة لنا، وقبل أن نلتقي ثانية بقيت أخطط ماذا سنعمل أو كيف نهرب وإلى أين؟"[٤٥]، استمر التواصل والتضامن بين أفراد المجتمع الأرمني المضطهد مع ازدياد عزمهم على الخلاص " في هذه المدينة أصبحت لقاءاتنا مستمرة مع الجميع ومنهم أخي كرابيت (الراعي أحمد)، وكأننا ننتمي لتنظيم سرّي للأرمن من المهجّرين وخاصّة بعد أن شعرنا بضعف العيون التي تراقبنا وتعاطف البعض مع قضيّتنا"[٤٦]، لقد دَأَبَ الجميع إلى إعادة

تنظيم الصفوف عن طريق إقامة سلسلة من التواصل المستمر محفوفًا بالسريّة التامة لضمان سلامتهم وتأمين مصيرهم حتى تحقيق الهدف والغاية المتمثلان باستعادة الهويّة .

على الرغم من التقارب الجليّ بين مواقف الشخصيّات في الروايتين بالتضامن والانسجام والمشاركة الجماعيّة التي يروم كلا المجتمعين منها استعادة الهويّة، فهذا لا يعني أنّه لا يوجد اختلاف بين تلك المواقف من حيث الكم والكيف، إذ اتضح عن طريق عرض مواقف مجتمع وشخصيّات رواية (على أعتاب غرناطة) كثرة الشخصيات وتنوع النشاطات بين تثقيفٍ وتوجيهٍ وقتالٍ وتواصلٍ بين المسلمين سواء أكان داخليًّا بين أقاليم الأندلس أم خارجيًّا عن طريق الانفتاح إلى الدول والأقاليم الإسلاميّة الأخرى ولا سيّما دول المغرب العربي والدولة العثمانية آنذاك، أمّا شخصيّات ومجتمع رواية (دروب الموت) فكان عددهم محدود ومواقفهم أقل مقارنةً بعدد شخصيّات رواية (على أعتاب غرناطة) ، إذ لم يتجاوز عددهم العائلة الواحدة غير أنّها نقلت معاناة مجتمعٍ بأسره .

ثانيا : استعادة الهوية في مبنى الروايتين :

كابدتِ الذات الجريحة قضية الانفصال عن الجذور الأولى، مرغمة على الولوج إلى ثقافة أخرى وعقيدة مضادّة، فتفتقد مضطرّةً الإحساس بالهويّة والانتماء، فمعاناة الاقصاء والاضطهاد وسلب الهوية وجراحاتها انتجت صعوبة كبيرة في التأقلم والتآلف مع المجتمع الجديد، مما ولّد العزلة ومحاولة العودة، فالمنفيون أو المجتثّون والمقطوعون عن جذورهم وماضيهم، هم بحاجة دائمة إلى إعادة تشكيل حياتهم، عن طريق رؤى أنفسهم، كجزء من أيديولوجيا ظاهرةٍ وحيّةٍ ومتجذرةٍ في أعماق التاريخ [٤٧]، فيتولّد الإحساس بالعجز والعيش على الهامش مع التهميش وليس في صميم الوجود [٤٨]، وهذا ما جعل الشخصيات في العملين الروائيين تُناضل انسجامًا وتضامنًا من أجل استعادة الذات أولًا ثم الهوية بمختلف مقوماتها ثانيًا، فلم تقفْ الشخصيات مكتوفة الأيدي أمام ما يحصل لهم، بل عملوا على استعادة وبناء حياة جديدة مفعمة بالأمن والاستقرار يشدّهم في ذلك حنينهم إلى الأصل – الهوية الأولى–، فإذا انتقلنا إلى مجتمع رواية (على أعتاب غرناطة) سنجد كفاح الشخصيّات مستمرًّا ودؤوبًا فرادًا وجماعاتً ابتغاءَ استعادة الهوية، وأوّل ما أُستُعيْد هو (الاسم) إذ إنّ أغلب الشخصيات قد اتسمت بأسماءٍ إسبانيّة (مسيحيّة) ولا سيّما الذين كانوا أطفالًا عندما بدأ الاستعمار أو وُلِدُوا في أثنائه، فأخذوهم عنوةً إلى الكنائس ليبثّوا ويزرعوا فيهم الديانة المسيحيّة وسلخهم عن هويتهم ولغتهم " أما من حاول الهرب بحياته ودينه ومغادرة إسبانيا، فلم تتركه محكمة التفتيش بسهولة، فيجب عليه أولًا أن يدفع مبالغ باهظة مقابل السماح له بالسفر، وبعد الدفع يُنزع منه أولادُه الذكور دون العاشرة والبنات دون الثامنة، ويسلَّموا إلى الكنيسة لكي يُربَّوا فيها على المسيحية "[٤٩]، كما نجد ذلك في التوجيه الذي أصدره رئيس محكمة التفتيش (أسبينوزا) لكبار القساوسة " أريد خلال أيّام حصرًا كاملًا بأسماء

أطفال الموريسكيين الذين تتراوح أعمارهم بين الثلاثة أعوام والخمسة عشر لضمِّهم للكنائس "[٥٠]، فهذه القضية أرغمت الموريكسيون على تسليم أولادهم إلى الكنيسة فاستبدلوا بأسمائهم أسماءً أعجميّة إلا أنّ أسماءهم العربية الاسلامية بَقِيتْ عالقة في أذهان ونفوس ذويهم يرومون استعادتها في الوقت المناسب، فحملت أغلب شخصيات الرواية أسماءً مزدوجة وهي كما وردت في الرواية (فاطمة / إليخندرا) و (مولاي محمد / لوبيث) و (حمزة / لوبيز) و (عائشة / إيسابيل)، (محمد بن أمية / فرناندو)، فجميع هؤلاء قد استعادوا أسماءهم العربية بعد أن عرفوا دينهم الحقيقيّ، فتواشجَ الاسمُ مع الدين والعقيدة وكأنهما بعلاقة تلازم، ويتضح ذلك من ثبات فاطمة أمام المحقق عندما أُكتُشِفَ أمرها بأنّها قد عادت إلى دينها الحقيقي دين الآباء والأجداد وهي صامدة بعد أن تمكّن الإسلام والإيمان من قلبها : " إذًا تعترفين بأنّك مسلمة وتساعدين الموريسكين !، وهل انكاري سيغير شيئًا أيّها المحقق؟ الموت يتربص بي ولأن ألقاه ثابتة على ديني خير من أن ألقاه متوسلة لكم ألّا تقتلوني ... اشطب اسم أليخندرا من تلك الأوراق، واكتب بدلًا منه اسمي الحقيقي اسمي فاطمة"[٥١]، لقد تمسّكت فاطمة بدينها الذي استعادته بعد أن اتضحت أمامها الحقائق مما دعاها إلى استعادة اسمها الحقيقيّ، فالأمة التي تمتلك تاريخًا مجيدًا، وحضارة خالدة لا تستسلم ولا تتقبل الخنوع والخضوع ولا تقف مكتوفة الأيدي بوجه الطغاة والمعتدين الذين نكّلوا بهم وهددوا وجودهم و هويتهم.

ومن صور استعادة الذات والدين التي جسّدها الروائي على وفق مقتضيات الأحداث والحقائق التي تعكس مدى تشبث الموريكسيون بدينهم وهويتهم هي التي نقلت عودة (دييجو لوبيث) إلى اسمه الحقيقي (مولاي محمد) وكذلك عودة (فرناندو) إلى اسمه العربي الإسلامي (محمد بن أمية) واستعادة الاسم مقترنًا أيضًا باستعادة الدين والتاريخ وهذا ما جاء على لسان ابن فرج : " إنّ الحكم بالظاهر على الناس لهو أمرٌ سخيف وظالم، فبينما يظن الموريسكيون أن فرناندو وديجو خونة فإذا هم في الواقع أحد من يحملون هموم الموريسكيون فوق رؤوسهم"[٥٢]، إنّ التغيير الذي تعرّض له الأندلسيون لم يكن اختيارًا بل كان انتزاعًا مما عضّد عندهم رغبة التمسُّك بأصلهم والتشبُّث به ومحاولة استعادته ليخلق نوعًا من الاستقرار والتوازن النفسي مع محيط شاسع من التهميش والاضطهاد .

وقد استعادت (إيسابيل) اسمها الحقيقي (عائشة) عندما قررت البوح عن أصولها العربية الإسلامية بعد أن أُرغمت على الزواج من المسيحيّ (كاربخال) فقتلته في ليلة دخلتها بعد أن أبتْ أن يدخل بها كونه يخالف عقيدتها ودينها الذي كانت تخفيه عن الجميع فتقول :" حين دخلت الحجرة مع كاربخال وطلب مني ما يطلبه الزوج من زوجته، لم تطاوعني نفسي بأن أدعها لنصراني، فقاومته بشدّة حتى ضربني بعنف شديد ... لم أشعر بنفسي إلا وأنا أخطف منه السكين وأطعنه طعنات قاتلة حتى فارق الحياة، قالتها الفتاة وهي تبكي بشدّة وصوت نحيبها

يتعالى، ثم توجّهت ناحية دولابها وهي تفتحه بسرعة وتخرج من داخله إنجيلًا لتناوله لابن فرج الذي تعرفه على الفور، فهو من نفس النوعية التي كان يوزعها وبداخله القرآن ... نظر إليها ابن فرج بحزن بالغ وهو يقول .. : احترسي لنفسك وسيجعل الله لك مخرجًا .. أومأت إليه الفتاة بامتنان شديد وهو ينصرف، ثم هتفت بصوت خفيض : اسمي عائشة .. إنّه اسمي العربي "[٥٣]

وقد جسّدت الرواية اندفاع (لوبيز) إلى معرفة اسمه العربي لاستعادته ليكون مدعاة الفخر والاعتزاز ويتضح ذلك من محاورته لجدته التي احتفظت بهذا السّر عنه حتى يؤون الأوان :" إذًا لقد حان الوقت الذي تطلعيني فيه على اسمي العربي، منذُ نعومة أظفاره لم يعرف الشاب له اسمًا سوى لوبيز، كان يسمع رفاقه الموريسكيين وهم يذكرون ألقابهم العربية خلسةً ثم يسألونه عن لقبه فلا يحر الجواب، كان أبوه يهمس في أذنه وهو يعلمه الرمي بالبندقية في حقول غرناطة، ستعرف حين يستحق العمل به، ماذا يعني كلامك يا أبي؟ – إنّ الاسم العربي كالسيف لا يشهر إلا حين تستعمله "[٥٤] إذن كان للوبيز اسم عربي أصيل لكن خُفيَ عنه لدواعٍ أمنية حفاظًا على سلامته، إلّا أنّ الوقت قد حان لاستعادته مع إعلانه التمرد والمقاومة ومساندة المرابطين على ثغور غرناطة لذلك بعد إلحاحٍ منه على جدته لمعرفة حقيقة اسمه واستعادته أباحتْ له السّرَّ : " حين رفعتك القابلة بين يديها دلف والدك إلى الحجرة وحملك بلهفةٍ وهو يبتسم قائلًا : سأسميه حمزة إنّه اسم عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد كان شجاعًا مقدامًا فسمّاك والدك تيمّنًا به"[٥٥] .

ومن الشخصيات التي استعادت دينها هو (فينجاس) الذي انصهر تمامًا بالنصرانية وقد دبّر المكائد مع الاستعمار ضد أبناء جلدته الموريكسيين إلا أنّه في نهاية المطاف وقف بجانب المسلمين وقاتَلَ مع آخر جيوب المقاومة " نصف ساعة كاملة حتى انتهت المعركة وقد أُبيدت الكتيبة الإسبانية كلها فيما سقط فينجاس صريعًا وهو ينطق بكلمة الخلاص "[٥٦] .

وبمقابلة مع شخصيات رواية (دروب الموت) يتضح إصرار تلك الشخصيات وكفاحها من أجل استعادة هويتها، فأوّل ما تطالعنا (هيرانوش) الفتاة الأرمنية التي نشأت في كنف المسلمين متنقلة بين أكثر من عائلة وتزوّجت منهم وأنجبت أبناءً حتى ظُنَّ أنّها اعتنقت الإسلام، إلّا أنّ الحقيقة غير ذلك، فقد استعادت هويتها ودينها في اللحظات الأخيرة من حياتها، وكشفت عما تكنّه من أسرار احتفظت بها لمدة زمنية كابدت فيها آلام القهر من البعد عن الأهل والأحبّة، إذ تجلى ذلك عن طريق هذا النص " إذن سمر أمام اختبار كبير في محنتها هذه هل هي سمر أم هيرانوش؟ هل هي جاءت هنا بإرادتها أم جاءت عنوة؟ ... سمر هيرانوش تعيش الآن محنة غياب قدرة اتخاذ القرار هي مسلمة وتعيش بعقلية كل مسلم تقرأ الآيات القرآنية بسلاسة وبدواخل نفسية مطمئنة وتصلي الصلوات الخمس في أوقاتها وتصوم شهر رمضان، لم يشكَّ أحدٌ بإسلاميتها يومًا، ولكن للجذور التاريخية وجود وتأثير فهي نمت وترعرت في مجتمع مسيحيّ وقد

أحبت دينها .. فقد يكون تحوّلها إلى مسلمة مهتدية أثار فيها نوازع الثورة على الذات والعودة إلى الجذور العودة إلى الأصل إلى النبتة الأولى "[٥٧]، إنّ قرار استعادة الهوية والعودة إلى أحضان المسيحية ثبت عن طريق الحوار الذي دار بين هيرانوش (الحاجة سمر) و القس الذي كان يدوّن كل ما تلفظه هيرانوش ليثبّت حقائق مازالت محطّ خلاف بين المؤرخين من جهة وبين المطالبين بالحقوق والاعتراف من الدول التي تزعم بوجود مذبحة الأرمن وبين الأتراك المنكرين لهذه الحقائق من جهة أخرى فقال : " كيف حالك أمنا سمر؟ عسى أن تكوني ارتحتِ قليلًا؟ شكرًا لك أبونا، ما دمتُ في هذا المكان المقدّس وأنت معي فإنّي أراني عدتُ إلى عالمي البعيد وجذوري وأهلي"[٥٨]، استعادت سمر عالمها الماضي الذي تمتزج فيه أيام الأنس والراحة والمحبة والألفة مع المآسي والألم والقهر .

إذًا قررت سمر العودة إلى المسيحية واتضح ذلك بقولها : " نعم الموضوع ليس سهلًا، لكن يا أبانا أنا اتخذتُ قراري هذا وعليَّ تحمل نتائجه، مهما كانت النتائج، ساعدني على البقاء : أهلا بك بيننا، مادام هذا قرارك "[٥٩]، لقد استعادت سمر اسمها الأرمني (هيرانوش) بمعية استعادة دينها وعندما حصل خلاف بين الكنيسة وأهل سمر (المسلمين) استدعى القاضي زوجها عثمان عندما حضرتها الوفاة لكي يُقرّر بمقابر مَنْ تدفن فأجابه : " نعم هي زوجتي سمر طلبتُ يدها من أهلها وهي في مخيمات هجرة الأرمن حينها تزوجنا على سنة الله ورسوله، باسم سمر محمد المهتدية، كان عمرها خمسة عشر عامًا، كنت أتوقع أنّها قد نسيت الماضي البعيد بعد أن رأَتْ أولادها وأحفادها المسلمين لكنّها يبدو لي قد تمسكت بدينها المسيحي، هذه الإشكالية حصلت لدى الكثير من المهتدين، هم بهذا العمل أرادوا أن ينقذوا حالهم من الحرمان والظلم والموت : هل اسمها هيرانوش ؟ نعم يا سيدي القاضي "[٦٠]، ومن أمثلة استعادة الهوية هو استعادة (أحمد الراعي) شقيق سمر اسمه الحقيقي (كرابيت) وتبيّن ذلك عن طريق الحوار الذي دار بين سمر وشاكي عندما أخبرتها شاكي بأنّها رأته بعد غياب طويل : " رأيته بأم عيني وعرفته رغم ما عليه من جديد، مَنْ هو؟ (كرابيت بعينه) ... هو الآن يرعى الغنم لدى مالكيها وباسم أحمد هو (الراعي أحمد) "[٦١]، لقد عاد (كرابيت) إلى هويته اسمًا ودينًا ومجتمعًا " استلم كرابيت رسالة .. أسرع بقراءتها فكانت المفاجئة الكبرى، رسالة من جدي ورتان كتب فيها : تحياتي لك كرابيت عساك وهيرانوش بخير، فرحنا بسلامتكما، نحن كنا في ولاية حلب حين أرسلت لكما الرسالة، لكنهم سيرحّلوننا إلى ولاية الموصل، غدًا ستبدأ رحلتنا ننتظركم هناك في ولاية الموصل"[٦٢]، استعاد (كرابيت) اسمه الحقيقي وديانته المسيحيّة ثمّ عائلته التي افتقدها بسبب ما حصلت لهم من أحداثٍ كان سببها اختلاف الديانة والأيدلوجية، وهذا مؤشّرٌ على أنّ أكثر الصراعات انتشارًا في المجتمع وأكثرها خطورة لن تحدث بين طبقات اجتماعية غنية وفقيرة، أو قضايا اقتصادية، ولكن بين شعوب تنتمي إلى هويات وأيدلوجيات مختلفة [٦٣].

وعن طريق ما تقدّم من محاور البحث يتضح أنّه لا يمكن الإحساس بوجود هوية من غير وجود (الدين) الذي هو بمثابة اطارٍ روحيّ يستشعر عن طريقه الفرد بالانتماء وينتابه الإحساس بالوجود، والتاريخ لا يقل أهمية عن الدين، إذ هو بصمة ماضي الأمم وحاضرها، فإذا طُمِسَ تاريخ أمّة ما أو شوّه فهو أحد الأساليب الأساسية لتهميش هويّتها، لأنّه مجموعة كبيرة من المشتركات للجماعة البشرية، تتكون مع الزمان، كما أنّه يشارك في بناء الذاكرة الجمعية وحفظها ونقلها [٦٤]، والذاكرة الجمعية هي: " الماضي الفعّال الذي يصوغ هوياتنا " [٦٥]. ولهذه الأهمية عزمت الشخصيّات في كلا الروايتين مع اختلاف الدين والثقافة على التمسّك بالهوية والعمل تضامنًا على استعادتها ورفض الخنوع والاستكانة والخضوع، فجاء المبنى الحكائي في الروايتين حاضنًا قضيتين الأولى : تاريخية تعرض صور الاضطهاد وعملية التطهير المجحف منذ مئات السنين، والثانية : المتخيّل السردي الذي عرض رؤية الروائيين المبدعيّن عن طريق وصفهما الذات كونها كائنًا مستقلًا بذاته وخصوصيّته، والمجتمع كونه موضوعًا، إذ لا يمكن فصلهما ضمن بناءٍ سرديٍّ تتابع فيه الأحداث تصاعديًّا يتخلّله تقانات الاسترجاع وتيّار الوعي والمونولوج .

وفي موازنةٍ لمواقف الشخصيّات في الروايتين ومنظورهم لمفهوم الهويّة اتضح أنّ المجتمع في رواية (على أعتاب غرناطة) كان شغله الشاغل هو استعادة الدين والتاريخ ومجد الآباء والأجداد متمثلًا بحضارة الأندلس، في حين وجدنا أنّ الشخصيّات في رواية (دروب الموت) قد اقتصر هدفهم على استعادة حياتهم الطبيعية وعاداتهم وتقاليدهم التي تمثّل هويتهم واستقلالهم الذاتي .

نتائج البحث

– عرضتِ الروايتان محنة الذات تجاه الهوية من صعوبة التأقلم وفقدان الإحساس بالألفة والانسجام مع المجتمع الجديد ما ولّد الرفض والسعي إلى استعادة الهوية والاستقلال، وهذا الإحساس صفة مشتركة اتسمت بها الشخصيات في الروايتين مع اختلاف ديانتها و انتماءاتها .

– كان الهدف العام الذي سعت إليه الشخصيات هو استعادة الهوية المستلبة، وهذه القضيّة هي التي هيمنت على سير أحداث الروايتين وإيقاعهما صعودًا واسترجاعًا، لأنّها تُعَدُّ أساس وجود الإنسان بين المجتمعات، وإذا افتقدها يفتقد وجوده وارتكازه ، لذلك يبقى مقتلعًا منها سواء هاجر وارتحل أم بَقيَ، فالأمر سيّان، لأنّ البقاء أو الارتحال لا يعوّضان الأصل المقتلع منه .

– إنّ الصعاب والمصائب تعزّز روح التعاون والانتماء والتفكير الجماعي والتواصل الفعّال، فضلًا عن بث الوعي الذاتي والجماعي والتحفيز من أجل انهاء مخططات القوى المركزية المستعمرة أو المسيطرة التي بذلت شتّى المحاولات لطمس هوية الآخر وتهميشه، معتمدةً أساليب متعدّدة لتحقيق الأهداف والغايات .

– اتضح عن طريق متابعة سير الأحداث وما صدرت من مواقف للشخصيات في كلا الروايتين أنّه مهما اختلفتِ المجتمعات وتباينت الديانات والعادات والتقاليد وغيرها، فإنّ القوّة والضغط لا تنتزع الهوية ولا سيّما اللغة والدين، فالفرد أو المجتمع لا يتخلى عن دينه وهويته بالقهر بل يتمسّك بهما ويحاول جاهدًا استعادتهما .

– واتضح أيضًا في الروايتين أنّ السلطتين المهيمنتين قد مارستا الأسلوب القمعي نفسه بالإقصاء والتطهير ومحاولة دمج الآخر (المُهَمَّش) في هويّة المركز ودينه وانتزاعه من هويّته الأصل .

– تبيّن عن طريق عرض سلوك وممارسات المجتمعين (الإسلامي والمسحيّ)، أنّ المسلمين تعاطفوا مع قضيّة الأرمن ووقفوا بجانبهم وصدرت مواقف متعدّدة من أفراد وجماعات تتضامن معهم، أمّا المجتمع المسيحيّ فلم ينتج عنهم أيّ موقفٍ يبيّن رفضهم وعدم رضاهم لما فعلته محاكم التفتيش ضد المسلمين من تطهير عرقيّ وسلبٍ للهوية.

– تبيّن عن طريق دراسة الروايتين أنّ هناك اختلاف في عدد الشخصيّات والمواقف، إذ كانت رواية (على أعتاب غرناطة) تمتاز بكثرة الشخصيّات وتعدد المواقف، فضلا عن المقاومة التي أبدتها شخصيّات الرواية، مقارنةً برواية (دروب الموت) التي اقتصرت على عائلة واحدة، ومواقف محدودة، فضلًا عن عدم وجود أيّ مقاومة أو موقف قتالي .

الهوامش

(١) – من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، صامويل هنتنجتون، ت: حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٥: ص ١٢٥.

(٢) – ينظر : الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٩٨: ١٧.

(٣) – ينظر: أدب أيام العرب قبل الإسلام، عبد الستار جبر عداي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١١: ص ٥٥.

(٤) – معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، ١٩٧٩م : ج٥ / ص ٣٢٠ .

(٥) – لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الافرق المصري (ت ٧١١هـ) ط١، دار صادر بيروت، ١٩٥٥ : ج١٠ /ص ٤٨٧ – ٤٨٨ .

(٦) – التمسك بفهم السلف للنص الشرعي وأثره في العقيدة، د. أحمد عبد الصمد محمد أمين، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السابع، الاصدار الثاني، المجلد الثالث، ٢٠٢٢ : ص ١٢٧ .

(٧) – أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، (ت ٥٨٣ هـ)، تحقيق : باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م . / مادة (مسك) : ج٢ / ص١٨٠ .

(٨) – لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي ال–عربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩١ م : ص ٥ –٦ .

(٩) – النص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند، ترجمة : د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م : ص١٠٣ .

(١٠) – مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفانج دريسلر، الهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط٢، ١٩٩م :ص ١

(١١) – الخطاب والمترجم باسل حاتم و إيان ميسون، ترجمة د. عمر فايز عطاوي، جامعة الملك سعود، ط١، ١٩٩٨م: ص ٣٣ .

(١٢) – النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة : عبدالقادر قنيني، أفريقيا، الشرق، المغرب، بيروت : ص ١٩٧ .

(١٣) – , Defining And Measuring Social Cohesion , Jane Jenson CommonwealthSecretariat And Unrest , 2010 . p4

(١٤) – السلوك التنظيمي – سلوك الافراد والجماعات في منظمات الأعمال، حسين حريم، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٤، ص ٦٦ .

(١٥) – التحليل في طريقة العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، محمد سيد فهمي، الاسكندرية، ١٩٩٨، ص١٣٢ .

(١٦) – لسان العرب، ابن منظور : ج ٤ / ص٣٤١ .

(١٧) – ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤، (باب الهاء): ص ٩٩٨.

(١٨)– معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو–دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة:صلاح الدين الشريف،المركز الوطني للترجمة،دار سيناترا،تونس، (د.ت): ٢٩١.

(١٩)– التعريفات، ابوالحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف(ت٨١٦ هـ)، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦: ص١٤٠ .

(٢٠)– اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفيَّة والتبعيَّة، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،ط٣، ٢٠٠٤: ص ٢٨.

(٢١) – اللغة والهوية: قومية – أثنية – دينية، جون جوزيف، ترجمة: د. عبد النور خراقي، سلسلة عالم المعرفة (٣٤٢)، الكويت، ٢٠٠٧: ص ٣٦.

(٢٢) – تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار احياء التراث، ودار الهداية، وغيرهما، تحقيق جماعة من المختصين، من اصدارات وزارة الارشاد والأنباء في الكويت، ج٨، ص٤٤٤ .

(٢٣) – المعجم المحيط، أديب اللجمي ، شحادة الخوري، البشير بن سلامة، عبداللطيف عبد، ونبيلة الرّزاز، الناشر : المحيط، باريس، ط٣، ١٩٩٦، ص٣٤٠ .

(٢٤) – صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د. صلاح قنصوة، دار سطور للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩: ص١٠.

(٢٥) – رواية، على أعتاب غرناطة، أحمد أمين، مؤسسة تبارك للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦ ، ص ٤٦–٤٧ .

(٢٦) – المصد نفسه :ص ٤٨ .

(٢٧) – المصدر نفسه : ص٧١ .

(٢٨) – المصدر نفسه: ص٢٠٦ .

(٢٩) – المصدر نفسه : ص ٨٠–٨١ .

(٣٠) – رواية، دروب الموت، راسم الحديثي، دار النخبة، القاهرة، ط١، ٢٠٢٣ : ص٣١ .

(٣١) – المصدر نفسه : ص ٦٨ .

(٣٢) – المصدر نفسه : ص٣٥ .

(٣٣) – ينظر: العادات الاجتماعية لدورة الحياة في المجتمع الكويتي، صلاح عطية صبيح، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠:ص ٢٦.

(٣٤)– ينظر: موسوعة علم الاجتماع، د. إحسان محمد الحسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٩: ص ٤٠٤.

(٣٥) – رواية دروب الموت : ص ٩٧ .

(٣٦) – التماسك الاجتماعي، ماهيته، أبعاده، مقوماته، أ.د ثائر رحيم كاظم، كاظم حبيب حميد، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد (٢٦) العدد (١) سنة (٢٠٢٣) ص ١٩٤ .

(٣٧) – رواية على أعتاب غرناطة : ص٣٤ .

(٣٨) – المصدر نفسه : ص ٣٤ – ٣٥ .

(٣٩) – المصدر نفسه : ص٤٩ .

(٤٠) – المصدر نفسه : ص ٩٥ .

(٤١) – المصدر نفسه : ص ٥١–٥٢ .

(٤٢) – رواية دروب الموت : ص٦٦ .

(٤٣) – المصدر نفسه : ص ٦٨ .

(٤٤) – ينظر: القيم والعادات الاجتماعية، د. فوزية ذياب، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠: ١٦٢.

(٤٥) – رواية دروب الموت : ص٧١ .

(٤٦) – المصدر نفسه : ص٧٢ .

(٤٧) – ينظر: تأملات حول المنفى ومقالات أخرى، ادوارد سعيد، ج١، ت: ثائر ديب، دار الآداب،، بيروت، ط٢،٢٠٠٧ : ١/ ص١٢٢.

(٤٨) – ينظر: المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الاحوال والعلاقات، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٥، ١٩٩٦ : ص ٤٥٩.

(٤٩) – رواية على أعتاب غرناطة : ص٣١ .

(٥٠) – المصدر نفسه : ص٦٥ .

(٥١) – المصدر نفسه : ص١٣٨ – ١٣٩ .

(٥٢) – المصدر نفسه : ص١٥٨ .

(٥٣) – المصدر نفسه : ص١٧٠-١٧١ .

(٥٤) – المصدر نفسه : ص ١٧٣ .

(٥٥) – المصدر نفسه : ص١٧٤ .

(٥٦) – المصدر نفسه : ص ٢٥٥ .

(٥٧) – رواية دروب الموت : ص ٥٧ – ٥٨ .

(٥٨) – المصدر نفسه : ص ٣٩ .

(٥٩) – المصدر نفسه :ص ٤٥ .

(٦٠) – المصدر نفسه : ص١٠٠ .

(٦١) – المصدر نفسه : ص٦٨-٦٩ .

(٦٢) – المصدر نفسه : ص ٧٢ .

(٦٣)– ينظر:صدام الحضارات: ص ٤٦.

(٦٤) – ينظر: الذاكرة والهوية، جويل كاندو، ت: وجيه أسعد، وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠٩: ٢٢٥.

(٦٥) – الذاكرة الجمعية، جيفري ك. أوليك، ت: عبد الستار جبر، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٩: ٥٣.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، (ت ٥٨٣ هـ)، تحقيق : باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م . / مادة (مسك).
- اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفيَّة والتبعيَّة، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت،ط٣، ٢٠٠٤م .
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار احياء التراث، ودار الهداية، وغيرهما، تحقيق جماعة من المختصين، من اصدارات وزارة الارشاد والأنباء في الكويت (د- ت) .
- تأملات حول المنفى ومقالات أخرى، ادوارد سعيد، ج١، تحقيق: ثائر ديب، دار الآداب،، بيروت، ط٢،٢٠٠٧ .
- التحليل في طريقة العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، محمد سيد فهمي، الاسكندرية، ١٩٩٨م .
- التعريفات، ابوالحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف(ت٨١٦ هـ)، وزارة الثقافة والاعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م .
- الثقافة والإمبريالية، إدوارد سعيد، كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٩٨.
- الخطاب والمترجم باسل حاتم و إيان ميسون، ترجمة د. عمر فايز عطاوي، جامعة الملك سعود، ط١، ١٩٩٨م .
- الذاكرة والهوية، جويل كاندو، ت: وجيه أسعد، وزارة الثقافة السورية، ٢٠٠٩. الذاكرة الجمعية، جيفري ك. أوليك، ت: عبد الستار جبر، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٩م.
- رواية، على أعتاب غرناطة، أحمد أمين، مؤسسة تبارك للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦ م.
- السلوك التنظيمي – سلوك الافراد والجماعات في منظمات الأعمال، حسين حريم، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٤ م.
- صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: د. صلاح قنصوة، دار سطور للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩ .
- العادات الاجتماعية لدورة الحياة في المجتمع الكويتي، صلاح عطية صبيح، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠: .
- القيم والعادات الاجتماعية، د. فوزية ذياب، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

– لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الافرق المصري (ت ٧١١هـ) ط١، دار صادر بيروت، ١٩٥٥.

– لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي ال–عربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩١ م .

– اللغة والهوية: قومية – أثنية – دينية، جون جوزيف، ت: د. عبد النور خراقي، سلسلة عالم المعرفة (٣٤٢)، الكويت، ٢٠٠٧ م .

– المعجم المحيط، أديب اللجمي ، شحادة الخوري، البشير بن سلامة، عبداللطيف عبد، ونبيلة الرّزاز، الناشر : المحيط، باريس، ط٣، ١٩٩٦.

– المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤ .

– مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفانج دريسلر، الهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط٢، ٩١٩٩ م .

– معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو–دومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة:صلاح الدين الشريف،المركز الوطني للترجمة،دار سيناترا،تونس، (د.ت).

– معجم مقايس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر، ١٩٧٩م.

– من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، صامويل هنتنجتون، ترجمة: حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٥ .

– موسوعة علم الاجتماع، د. إحسان محمد الحسن، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

- النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة : عبدالقادر قنيني، أفريقيا، الشرق، المغرب، بيروت، ٢٠٠٠م .

– النص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند، ترجمة : د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م .

الرسائل الجامعية :

- أدب أيام العرب قبل الإسلام، عبد الستار جبر عداي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠١١م .

البحوث والدوريات :التمسك بفهم السلف للنص الشرعي وأثره في العقيدة، د. أحمد عبد الصمد محمد أمين، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد ، الاصدار الثاني، المجلد (٣)، ٢٠٢٢ .

التماسك الاجتماعي، ماهيته، أبعاده، مقوماته، أ.د ثائر رحيم كاظم، كاظم حبيب حميد، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد (٢٦) العدد (١) سنة (٢٠٢٣) .

المصادر الانكليزية

- Defining And Measuring Social Cohesion , Jane Jenson CommonwealthSecretariat And Unrest , 2010 . p4

Sources and references in English

First: sources and references

- The Basis of Rhetoric, Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar bin Ahmed, (d. 583 AH), edited by: Basil Ayoun Al-Aswad, 1st edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1998 AD. / Material (Musk).

- Assassination of the Mind, The Plight of Arab Culture between Salafism and Subordination, Burhan Ghalioun, Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut, 3rd edition, 2004 AD.

- Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos, Muhammad Mortada Al-Husseini Al-Zubaidi, Dar Ihya Al-Turath, Dar Al-Hidaya, and others, verified by a group of specialists, published by the Ministry of Guidance and Information in Kuwait (D-T).

- Reflections on Exile and Other Essays, Edward Said, Part 1, edited by: Thaer Deeb, Dar Al-Adab, Beirut, 2nd edition, 2007.

- Analysis in the method of working with groups, Modern University Office, Muhammad Sayed Fahmy, Alexandria, 1998 AD.

- Definitions, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Ali Al-Jarjani, known as Al-Sayyid Al-Sharif (d. 816 AH), Ministry of Culture and Information, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1986 AD.

- Culture and Imperialism, Edward Said, Kamal Abu Deeb, Dar Al-Adab, Beirut, 2nd edition, 1998.

- Al-Khattab and translator Basil Hatem and Ian Mason, translated by Dr. Omar Fayez Attawi, King Saud University, 1st edition, 1998 AD.

- Memory and Identity, Joel Cando, published by: Wajih Asaad, Syrian Ministry of Culture, 2009. Collective Memory, Jeffrey K. Olek, T.: Abdul Sattar Jabr, Foreign Culture Magazine, Issue 2, House of Cultural Affairs, Baghdad, 2009 AD.

- Novel, On the Doorstep of Granada, Ahmed Amin, Tabarak Publishing and Distribution Foundation, 1st edition, 2016 AD.

- Organizational Behavior - The Behavior of Individuals and Groups in Business Organizations, Hussein Hareem, Dar Al-Hamid, Amman, 2004 AD.

- The Clash of Civilizations: Remaking the World Order, Samuel Huntington, translated by: Talaat Al-Shayeb, presented by: Dr. Salah Qanswa, Surat Publishing House, Cairo, 2nd edition, 1999.

- Social Customs of the Life Cycle in Kuwaiti Society, Salah Attia Sobeih, Al-Sabah Publishing and Distribution Establishment, 1st edition, 1980: .

- Social values and customs, Dr. Fawzia Dhiab, Dar Al-Nahda Printing and Publishing, Beirut, 1980 AD.

- Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram Ibn Manzur al-Afriq al-Masri (d. 711 AH), 1st edition, Dar Sader, Beirut, 1955.

-Text Linguistics: An Introduction to Discourse Harmony, Muhammad Khattabi, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut, Casablanca, 1991 AD.

-Language and Identity: National - Ethnic - Religious, John Joseph, published by: Dr. Abdel Nour Kharaghi, World of Knowledge Series (342), Kuwait, 2007 AD.

-Al-Muhit Dictionary, by Adeeb Al-Lajmi, Shehada Al-Khoury, Al-Bashir bin Salama, Abdul Latif Abd, and Nabila Al-Razzaz, publisher: Al-Muhit, Paris, 3rd edition, 1996.

- Intermediate Dictionary, Arabic Language Academy, General Administration of Dictionaries and Heritage Revival, Shorouk International Library, Egypt, 4th edition, 2004.

- An Introduction to Text Linguistics, Applications of the Theory of Robert Depew Grand, Wolfang Dressler, Elham Abu Ghazaleh and Ali Khalil Hamad, Egyptian General Book Authority, Cairo, 2nd edition, 9199 AD.

- Dictionary of Discourse Analysis, Patrick Charaudeau-Dominique Mengno, translated by: Abdel Qader Al-Muhairi and Hamadi Samoud, reviewed by: Salah Al-Din Al-Sharif, National Center for Translation, Sinatra House, Tunisia, (ed.).

- Dictionary of Language Standards, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (d. 395 AH)

Editor: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1979 AD.

-Who are we? Challenges Facing American Identity, Samuel Huntington, translated by: Hossam Al-Din Khaddour, Dar Al-Rai Publishing, Damascus, 1st edition, 2005.

- Encyclopedia of Sociology, Dr. Ihsan Muhammad Al-Hassan, Arab Encyclopedia House, Beirut, Lebanon, 1999 AD.

- Text and Context: Research Investigation into Semantic and Pragmatic Discourse, Van Dyck, translated by: Abdel Qader Qanini, Africa, the East, Morocco, Beirut, 2000 AD.

- Text, Discourse, and Procedure by Robert de Beaugrand, translated by: Dr. Tammam Hassan, 1st edition, Alam al-Kutub, Cairo, 1998 AD.

University theses:

- Literature of the days of the Arabs before Islam, Abdul Sattar Jabr Aday, doctoral thesis, College of Arts, Al-Mustansiriya University, 2011 AD.

Research and periodicals:

- Adhering to the predecessors' understanding of the legal text and its impact on belief, Dr. Ahmed Abdel Samad Muhammad Amin, Journal of the College of Islamic and Arab Studies for Girls in Damanhour, Issue, Second Issue, Volume (3), 2022.

- Social cohesion, its nature, dimensions, and components, Prof. Dr. Thaer Rahim Kazem, Kazem Habib Hamid, Al-Qadisiyah Journal for the Humanities, Volume (26), Issue (1), year (2023).